بنت الرافدين
www.brob.org E-mail: jareda@brob.org

مفهوم الديمقراطية

آمنة الكفيشي / جامعة بابل

من المشكلات الأساسية في النظام الديمقراطي هو الخوف من طغيان الاغلبية، وضياع حقوق الاقلية أسوأ فهم للمساواة هو جعل الناس جميعاً متساوين من (جميع الوجوه) وهو اقرب الى ما يسمى (وضع الناس على سرير بوكرست) الديمقراطية تجربة أثبتت جدارة وحقاً في البقاء، على عكس الكثير من النظم التي زالت او في طريقها الى الزوال

غايتنا في هذا البحث البرهنة على أن الديمقراطية تجربة إنسانية يفرضها العقل البشري، وحتمتها الأخلاق لتحافظ على كرامة الإنسان وقيمته، وأن نكشف بالتالي عن خطأ الأفكار المتداولة عن الديمقراطية لاسيما في وطننا العربي، كأن يقال مثلاً إنها تجربة يونانية مارستها أثينا بصفة خاصة، أو يقال أنها تجربة انجليزية على اعتبار أن الديمقراطية قطعت شوطاً بعيداً من حياتها في إنجلترا. أو أن يقال أخيراً أن الديمقراطية نظام غربي، وهي تجربة لمجتمعات خاصة، وبالتالي لا تصلح لدول العالم الثالث.

والواقع أننا ننسى أن الديمقراطية كانت شكلا من أشكال الحكم، ظهرت معه وقبله، وبعده، أشكال أخرى كثيرة، لكنها سقطت في مسار التاريخ الإنساني، وأخفقت على محك التجربة البشرية، ومما يؤكد ما نقول أن هذه النظم السياسية، كانت في الأعم الأغلب، يونانية الأصل فأثينا نفسها مرّ عليها، كما مرّ على غيرها من المدن اليونانية، كنظام الحكم الأرستقراطي أي الحكم الأفضل وهي حكم القلة الفاضلة، والأوليجاركي أي القلة الغنية، والتيراني أي حكومة الطغيان، و الديماجوجية أي قيادة الجماهير... الخ. فهذه كلها أشكال من النظم السياسية ظهرت في بلاد اليونان، ولا تزال أسماؤها يونانية الأصل.

إذن، أشكال كثيرة، مختلفة ومتنوعة ظهرت مع الديمقراطية عند اليونان سقطت كلها وبقيت تجربة الديمقراطية التي أثبتت جدارتها وقيمتها فأصبحت الشكل السياسي النموذجي من أشكال الحكم.

ولقد بلغ تعدد النظم السياسية في المدن اليونانية حداً جعل أرسطو، يتمكن من دراسة مائة وثمانية وخمسين دستوراً أي شكلاً سياسياً لم يبق منها للأسف سوى (دستور الأثينيين) الذي يروي فيه كيف مرّت مدينة أثينا نفسها بتجارب سياسية متعددة، قبل أن تأخذ بالنظام الديمقراطي وبعده. وفضلا عن ذلك فقد كانت هناك ضروب مختلفة من الحكم في الشرق، في مصر، وبابل، وفارس...الخ. حتى أن هيرودت يذكر في كتابه (التاريخ) مشهداً لسبعة أشخاص من الفرس يتناظرون حول خصائص الحكومات المختلفة، ومزايا كل نظام وعيوبه، وينتهي الحوار بتفضيل الحكم الديمقراطي الذي يحقق رغبة الإنسان في مساهمة الأغلبية في شئون الحكم، كما يحقق المساواة للجميع أمام القانون.

لقد بدأت الديمقراطية بتجربة بالغة البساطة تأخذ بها مدينة أثينا، حيث كان يجتمع الشعب كله بذاته، لا هيئة منتخبة عنه ، فعلى الرغم من تطبيق الديمقراطية إلى أن مصطلح الشعب لم يكن هذا المعنى الذي هو عليه في يومنا هذا، فجعلوه يعني مجموع المواطنين الأثينيين الذكور الأحرار ممن بلغوا سن العشرين، وبذلك أخرجوا النساء والعبيد وكبار السن من مفهوم الشعب بل إن أفلاطون قد فهم الشعب في النظام الديمقراطي على أنه مجموع الغوغاء أو الدهماء ومن على شاكلتهم، وهم عند أرسطو، جمهرة المواطنين الفقراء في مختلف المدن.

وهذا الفهم القاصر ذاته لمصطلح الشعب هو الذي ساد الديمقراطية الرومانية. التي خضعت للعديد من القيود والضوابط التي وجهت لها الكثير من الانتقادات وبأنه نظام يجعل السيادة للشعب بدلاً من القانون.

وخلاصة ذلك كله أن الديمقراطية، تجربة إنسانية أثبتت جدارة وحقاً في البقاء، فقد ظهرت معها نظم كثيرة زالت أو هي في طريقها إلى الزوال، مما قد يؤكد فكرة الفيلسوف الإنجليزي هربرت سبنسر القائلة بأن ((الصراع من أجل البقاء ليس قانوناً ينطبق على الكائنات الحية، أو في ميدان البيولوجيا فحسب، وإنما يصدق في ميدان النظم السياسية والاجتماعية كذلك)). فالديمقراطية، إذن، تجربة الإنسان بما هو إنسان لا من حيث هو يوناني أو عربي، إنجليزي أو غربي، ومادامت الديمقراطية تجربة إنسانية فهي مشروع بالمعنى الحرفي للكلمة، ولهذا فهو يخضع باستمرار للنقد والفحص والمراجعة والتصحيح، وذلك جزء من صميم الديمقراطية نفسها، فهي لم تتخذ في مسارها الطويل شكلاً واحداً ثابتاً لا يتغير، فالمبادئ التي تقوم عليها (كالحرية والعدالة والمساواة...الخ)، هي وحدها الثابتة التي لا تتغير، لكنها تغيرت مع طبيعة المجتمعات وثقافتها وتراثها، لهذا اختلفت الديمقراطية الإنجليزية ـ كثيراً أو قليلاً ـ عن الديمقراطية في الولايات المتحدة، وهذه عن صورتها في فرنسا أو إيطاليا وهكذا.

ومع اختلاف صور الديمقراطية اختلفت النظرة حول أسس هذه الديمقراطية. وأولها: الحرية، والتي هي ((ماهية الروح)) كما قال هيجل. أما جون لوك ـ الذي أمدّ مسيرة الديمقراطية بكثير من الأفكار الأساسية ـ يعبر عن الحرية بقوله: ((أن الناس جميعاً أحرار وهم سواء في حقوقهم السياسية، والناس جميعاً متساوون، فلا مراتب ولا درجات، ولا فئات بين البشر...)). حتى أن عملاقي الفكر اليوناني ـ أفلاطون وأرسطو ـ قد فهما الحرية بمعنى أن يفعل المرء ما يشاء وهذا هو ما أطلق عليه برلين ((المعنى السلبي للحرية)) فالفكرة الأفلاطونية تقسم الناس الى طبقات ثلاث والتي لا تتخيل أنه يمكن للعامل أن يصل إلى مقعد الحكم، فذلك لا يمكن أن يسمح بالحرية للجميع.

غير أن جان جاك روسو لم يكتف بفكرة لوك أن الناس جميعاً أحرار، بل أراد أن يحدد معنى هذه الحرية لأنه لم يكن يقتنع بالمعنى السلبي الذي ساد قروناً طويلة والذي يجعل الحرية في أن يفعل المرء ما يشاء، أو أن يتحرر من كذا من القيود، ولهذا نراه يقول: ((لا تعتمد الحرية على أن يفعل الفرد ما يريد بإرادته الخاصة بقدر ما تعتمد على ألا يخضع لإرادة شخص آخر، وهي تعتمد أكثر على عدم خضوع الآخرين لإرادتي الخاصة...)). ولا نريد هنا أن نتتبع كل ما قيل عن الحرية فهو فوق المحصور، لكنّا أردنا فحسب أن نقدم نماذج من الجهود التي بذلها المفكرون في عصور مختلفة دون اتفاق تم بينهم على تحديد معنى للحرية.

أما الأساس الثاني فهو المساواة، فيمكن القول إنه على الرغم من إنها فكرة حديثة، فقد جاءت قديماً عند أرسطو وهو يتحدث عن فكرة (العدالة) في الكتاب الثالث من الأخلاق ،حيث يذهب إلى أنه ((ينبغي ألا يكون هناك تمييز بين الناس المتساوين من جميع الوجوه)). وحبذا لو ترجمنا كلمة المتساوين هنا ب (الأنداد) فهذا هو بالضبط ما يعنيه المعلم الأول، أنه لا يتحدث عن جميع الناس، وإنما هو يقصد فقط المواطنين اليونانيين الذكور، ممن لهم حق الاشتغال بالسياسة، فهؤلاء ينبغي ألا نفرق بينهم في المعاملة أو في الحقوق.. وهكذا يظل القول بأن المساواة فكرة حديثة، قولاً سليماً.

والواقع أن المساواة في الأمور المادية سهلة ميسورة، فنحن نفهم معنى قولنا أن شيئين متساويان في الحجم أو الوزن أو الكثافة، أو قولنا أن رجلين متساويان في الطول أو الوزن. لكن ما إن نتحدث عن المساواة بين الموجودات البشرية حتى تبدأ المشكلات بالظهور.

في الحقيقة، أن أسوء فهم للمساواة هو ذلك الذي جعل الناس جميعاً متساوين من (جميع الوجوه) وهو أقرب إلى ما يسمى في الفلسفة ((وضع الناس على سرير بوكرست)) بكل ما في هذه العبارة من تعسف وتصنع وافتعال وقتل للحقيقة.

وبروكرست هو قاطع طريق في الميثولوجيا اليونانية اسمه الحقيقي بوليبيمون، كان يدعو الغرباء لزيارته في بيته، ثم يرغمهم على النوم في سريره الوحيد، فإن كانوا أطول قطع الزيادة، وإن كانوا أقصر شدّهم حتى الموت، وهو يقضي عليهم في الحالتين، لولعه الشديد بالمساواة التامة، المساواة من جميع الوجوه!

لا، ليست المساواة على هذا النحو الساذج الفج وإنما هي تعني المساواة بينهم من ناحية أخرى، فهناك المساواة أمام القانون، المساواة السياسية، المساواة في الفرص، وهي بعض وجوه المساواة التي وجب تطبيقها في وقتنا الراهن.

وفي ختام هذا البحث لابد من الإشارة إلى المشكلة الرئيسية التي تثار حول الديمقراطية يلخصها هذا السؤال: أيجوز تطبيق الديمقراطية في جميع المجتمعات بلا تفرقة أم أنها شكل خاص من أشكال الأنظمة السياسية يحتاج إلى مجتمع معين؟ هناك فلاسفة يرفضون إمكان التطبيق (العام) ويجعلون الديمقراطية (وقفا) على مجتمعات دون غيرها. ومن المشكلات الأساسية في النظام الديمقراطي الخوف من طغيان الأغلبية، وضياع حقوق الأقلية، والتحديد المستقر لحرية القلة التي لا توافق على رأي الأغلبية.

ومهما يكن من شيء ـ فسوف تظل المشكلات التي تظهرها الممارسة الديمقراطية كثيرة، لكن يتوجب علينا مواجهتها، والتصدي لها. فإذا كانت الديانات قد أعطت الإنسان السيادة والسيطرة على بقية المخلوقات لأنه صورة الله، فإن الديمقراطية تحافظ على هذه الصورة، في حين تهبط به الأنظمة الاستبدادية المعادية للديمقراطية.

إن المعيار الحقيقي لوجود الديمقراطية في مجتمع ما ليس وجود مجموعة من الأفكار الهامة والمبادئ الديمقراطية في دستور هذا المجتمع، وإنما هو ممارسة الناس الفعلية لهذه الأفكار والمبادئ والحقوق. فالديمقراطية في النهاية ممارسة.

عبر الأثير

نازك الملائكة

ولدت الشاعرة نازك الملائكة في بغداد عام 1923م، ونشأت في بيت علم وأدب، في رعاية أمها الشاعرة سلمى عبد الرزاق أم نزار الملائكة وأبيها الأديب الباحث صادق الملائكة، فتربّت على الدعة وهُيئتْ لها أسباب الثقافة. وما أن أكملتْ دراستها الثانوية حتى انتقلت إلى دار المعلمين العالية وتخرجت فيها عام 1944 بدرجة امتياز، ثم توجهت إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاستزادة من معين اللغة الانكليزية وآدابها عام 1950 بالإضافة إلى آداب اللغة العربية التي أُجيزت فيها. عملت أستاذة مساعدة في كلية التربية في جامعة البصرة.

تجيد من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية، بالإضافة إلى اللغة العربية، وتحمل شهادة الليسانس باللغة العربية من كلية التربية ببغداد، والماجستير في الأدب المقارن من جامعة وسكونس أميركا. مثّلت العراق في مؤتمر الأدباء العرب المنعقد في بغداد عام 1965.

آثارها: لها من الشعر المجموعات الشعرية التالية: عاشقة الليل صدر عام 1947، شظايا ورماد صدر عام 1949، قرارة الموجة صدر عام 1957، شجرة القمر صدر عام 1965، مأساة الحياة وأغنية للإنسان صدر عام 1977، للصلاة والثورة صدر عام 1978، يغير ألوانه البحر طبع عدة مرات، الأعمال الكاملة - مجلدان - (عدة طبعات).

ولها من الكتب: قضايا الشعر المعاصر، التجزيئية في المجتمع العربي، الصومعة والشرفة الحمراء، سيكولوجية الشعر.

كتبت عنها دراسات عديدة ورسائل جامعية متعددة في الكثير من الجامعات العربية والغربية.

ـ نشرت ديوانها الأول " عاشقة الليل " في عام 1947، وكانت تسود قصائده مسحة من الحزن العميق فكيفما اتجهنا في ديوان عاشقة الليل لا نقع إلا على مأتم، ولا نسمع إلا أنيناً وبكاءً، وأحياناً تفجعاً وعويلاً " وهذا القول لمارون عبود.

ثم نشرت ديوانها الثاني شظايا ورماد في عام 1949، وثارت حوله ضجة عارمة حسب قولها في قضايا الشعر المعاصر، وتنافست بعد ذلك مع بدر شاكر السياب حول أسبقية كتابة الشعر الحر، وادعى كل منهما انه اسبق من صاحبه، وانه أول من كتب الشعر الحر.

توفيت يوم الاربعاء (2007/6/20م) بمستشفى في العاصمة المصرية عن 84 عاما إثر هبوط حاد في الدورة الدموية.

دعاء أم حسين؟!

محمود حمد

"ام حسن" امراة عراقية في الستين من العمر، من سكان "حي الثورة بـ" العمارة،وحي الثورة سمي بهذا الاسم تيمنا بمدينة الثورة في بغداد كونه مثل مدينة الثورة اكثر اجزاء العاصمة العراقية بؤسا، وكذا حي الثورة في "العمارة"..

والعمارة ليست مدينة وليست منطقة حضرية - بالمعنى الانشائي للمدن الحديثة - رغم ثراء عقول ابنائها، وسخاء ارضها، وغنى تاريخها، ومجد تراثها الوطني..فهي مستنقع للبؤس حوصر فيه الناس ليستوطنوه، ويجعلوا منه ملاذا لهم، مع رفيق عمرهم (الحرمان)..

وكم من مرة تحاورنا والاصدقاء..من مفاوضات الجبهة الوطنية والقومية التقدمية حتى حوارات المصالحة الوطنية!..ونحن نتساءل:

كيف يمكن تحويل شبكة الوحول النتنة التي يرقد على حافاتها العراقيون في مجمعات كبيرة تسمى مدنا مثل العمارة..الى (مدن) كمدن العالم المتمدنة ولا اقول المترفة..

وذات يوم كانت "ام حسن" تسمعنا ونحن نخوض بحقول هذا الحلم..فقاطعتنا بلهجتها الازيرجاوية اللذيذة:

يمه اهجموها ودكو ولاية غيرها عد علي الغربي خالية من السيان والذبان.*

بعد ثورة الرابع عشر من تموز وفي اجواء صدور قانون الاصلاح الزراعي اصدر الشخصية الوطنية والمفكر الاقتصادي والانسان(العاقل) الدكتور مكرم الطالباني دراسة عن الاصلاح الزراعي والاقطاع في العراق..اورد في دراسته القيمة هذه:

ان اشد انواع الاقطاع تعسفا في تاريخ الانسانية كان في الصين، لكنه يأتي بالدرجة الثانية بعد الاقطاع في العمارة من حيث حجم اغتصابه للارض الزراعية!

بعد انتفاضة ١٩٩١ حيث كنت في مدينة العمارة كواحد من اولئك الذي شهدوا شجاعة الشعب وصدق نواياه، وخواء الشعارات وزيف نوايا السياسيين، كانت ام حسن " تتلظى بين حجرة بيتهم الخاوية وبين البيت الذي يستضيفني، تبحث عن منجاتا لسمعتها من نسيبها الذي فرض نفسه عليهم مذعورا في البيت، وهو الملطخة ذمته وايامه بقهر الناس وتخريب مصائرهم كمسؤول بعثي في العمارة..وذلك في الساعات والايام التي كانت فيها الانتفاضة تتفاقم والآمال بالخلاص من الدكتاتورية تتسع....وكانت "ام حسن" ممزقة بين "النخوة الازيرجاوية" لاغاثة المستغيث وبين ذلك الرجل الذي سيلوثهم بسيرته المشينة..وحسمت امرها:

لايمه ماسلمه الهم..الدنيا هسة هيجان.. بس اطيه الهم يكطعونة وذر.. لجن من تصفة الامور اسلمه بيدي للحكومة الجديدة..وهي تاخذ حكه منه!

ولم تفشي سر اختفائه في بيتها لأحد إلاّ لجارتها..

واغتيلت الانتفاضة..

وتفرعن نسيبهم – المذعور- على الناس وعليهم، وكان على رأس احد الزمر التي تسوق المنتفضين الى المقابر الجماعية..

وبعد شهر..

وفي الساعة الثالثة فجرا..

استباحت قوة من "الكوماندوز" المدججين بالكراهية والسلاح، من ذوي الملامح واللهجات الغريبة عن العمارة..استباحت الحي المحيط ببيت "ام حسن"..

وانفجر الرصاص ممزقا سكون ليل الفقراء المذعورين..

واقتحموا بيت "ام حسن" وعاثوا فيه رعبا وموتا لساعات..

وعند انبلاج الفجر الاسود..عم صمت رهيب ومريب، تلصص فيه الجيران من ثقوب الجدران الى ساحة الموت..(الى بيت ام حسن)..

كان اربعة فتيان لم يتجاوزوا العشرين من العمر.. ممزقين بالرصاص.. ومرميين في وحل الدروبونة.. هم اولاد "ام حسن" الثلاثة وضيف لهم..

بقيت الجثث الى الليل لا احد يجرؤ على حملها.. ولا احد يقوى على معرفة مصير الآخرين داخل بيت "ام حسن"..

وحدها جارتهم "ام حيدر" استشاطت وداً لصاحبتها ورفيقة دربها في اربعينية الحسين كل عام..رفضت كل المخاوف والتحذيرات التي حالت دون عبورها السياج الفاصل بين المنزلين وهي ابنة الستين عاما المبتلية بالامراض الموهنة..

بعد دقائق خرجت "ام حيدر" تثغب من الباب عبر بركة الدم :

"ابو حسن" مصوب..وام حسن مسحونة روحها!

وبقي ابو حسن "مصوب" حولا كاملا حتى فارق الحياة..

وظلت "ام حسن" بعده تتطلع الى الطريق بانتظار من اختطفوا منها بالرصاص امام عينيها..

كان "حسين" ابنها الاوسط بملامحه النحيلة وروحة النقية وسلامه الهامس يلتقيني في الطريق الخلفي لحي الثورة، ويسألني عن حلمه بالانظمام الى القوة البحرية في البصرة ليكون قريبا من ابنة خالته التي يهواها..

سألته ذات يوم وقد مر بي شارد الذهن دونما سلام:

مالذي يشغلك ياحسين..؟

اجاب بعفوية رائقة:

اريد اصير بالبحرية..والناس تزور الحسين بدون خوف.. واتزوج فلانة.....!

وصمت حياءا دون ان يذكر اسمها..

كان حسين واحدا من اولئك الفتيان الذين لن انسى بسالتهم ونزاهة سلوكهم واحترامهم لمن حولهم..الذين مزقت الدكتاتورية ارواحهم واجسادهم امام انظار ابويهم.

وجاءت حقبة ما بعد صدام ..

وازيحت الدكتاتورية عن قمة السلطة دون ان تزاح من جسد الدولة والمجتمع..

واستمر بيت "ام حسن" بالتداعي، وعافيتها بالوهن، واحبائها بالانقراض ومنهم صديقتها ام حيدر..

وقبل ايام هاتفني احد الاصدقاء من العمارة ومن بين من سألت عنهم كانت ام حسن..

اجابني بألم:

لقد فارقت الحياة محزونة..لم يسأل عنها احدا.. حتى اصدقاء اولادها الشهداء..ممن اعتلى عرش المغانم..

بعسر حصلت على هاتف لأحد من بقايا اسرتها..

كانت ابنتها الصغرى..

اجابتني عند سؤالي عن ايام ام حسن الاخيرة..

قالت باكية:

تمضي الوقت بالصلاة والدعاء للخلاص ممن جلبوا المآسي - للوادم *** -..مثلما كانت تفعل ايام صدام!.

---

*(ترجمة النص لغير الناطقين بلهجة اهل الجنوب:ياابنائي اقلعوها من الجذور وابتنوا لكم مدينة جديدة بجوار منطقة على العربي شمال العمارة لانها منطقة خالية من الوحول والذباب!)

**(انقطعت عني اخباره منذ زمن ليس بالبعيد.. اتمنى ان يكون بخير وان يكون في موقع المسؤولية في هذا الزمن الشائك الذي يحتاج فيه الوطن لابنائه العقلاء).

***(الوادم) تعني الناس بلهجة اهل جنوب العراق.

المرأة ذلك المخلوق البديع وهي كل المجتمع
المرأة في مفهوم الآخر
الحلقة الاولى

زهير الزبيدي

عندما تُذكر الحقوق والواجبات في عصرنا الحديث، فأول ما يتبادر الى ذهن إنساننا المعاصر، مفهوما صارراسخا لدى الأغلبية العظمى من بني البشر، ألا وهو المساواة بين الجنسين !!!. وأصبح هذا المفهوم أشبه بقانون طبيعي لايجوز تجاوزه في بعض المجتمعات لاسيما منها الغربية.

قد يكون من الطبيعي أن تجد هكذا دعوات في الغرب، بل تنظيرات صار يتفنن بها المنظرون لتدمير العائلة، باسم تطويرها حسب رؤيتهم الذاتية، ووفق معطياتهم الخاصة بهم. العائلة، النواة الرئيسية في بناء المجتمع السليم، وذلك بدوافع صارت معروفة للمثقف العادي فضلا عن الباحث المعني بحقيقة النظريات والقوانين الوضعية لتلك الأهداف، التي ارتبطت ارتباطا عضويا بأهداف الشركات الرأسمالية العابرة للقارات اليوم، لإلغاء القاعدة الإسلامية ـ بقصد أو بدون قصد ـ التي تريد المحافظة على سلامة الفطرة البشرية، التي تقول: (ما رأيت نعمة موفورة الا وبجنبها حق مضاع) أو (ما جاع فقير الا بما متع به غني) لاسيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

ولو أن الإشتراكية سعت للوقوف بوجه هذه الشركات، والحد من أساليب استعبادها للإنسان، الا أنها ربطت تصديها للتغيرات تلك، بنفس الأهداف الاجتماعية التي تهدف لضرب المجتمع البشري، من خلال ضرب نواته الرئيسية العائلة، لترويضه وإسقاطه في قبضة النظرية الشيوعية، التي تأتي نتيجة حتمية للنجاح المفترض للإشتراكية، التي تنقلها الى الشيوعية. وهكذا فان الاشتراكية استطاعت أن تحدد نقاط الضعف في الرأسمالية، بصفاء نية لصالح البشرية، الا أنها فشلت في العلاج، كما يقول المفكر الاسلامي الشهيد السعيد محمد باقر الصدر.

صحيح أن الرأسمالية والاشتراكية نظامان اقتصاديان، إلا أنهما يرتبطان بروابط اجتماعية وثيقة الصلة بالإقتصاد، وتأتي معطياتها تلك، بين نمو الثروة وتخزينها بيد فئة مسيطرة على الانتاج، باستغلال المجتمع عند الرأسمالية، وتوزيعها على المجتمع لدى الاشتراكية، باستغلال العواطف وتوظيفها التوظيف المنافي لقيمنا الاسلامية. وتداعيات هذا التعاطي بسلبه وإيجابه، يقع بطبيعة الحال على المجتمع، بشكل مخطط مدروس. ومربوط ربط موضوعي بالمادة، من حيث أن الإنسان في الاشتراكية (أكبر رأسمال)، وفي الرأسمالية، الآلة الطيعة عندما تذل بأساليب الرأسمالية المعروفة، وخلق تلك الطبقية التي ميّزت بين البشر، من حيث حيازهم للثروة وسيطرتهم على مصادر المادة، والطبقة التي تساق نحو المجهول من أجل زيادة الثروة وتكريسها بيد الأقلية. فتفكيك العائلة يساعد الرأسمالية والاشتراكية بالسيطرة عليها، لأنها نواة المجتمع، ومحور هذه النواة للإرتكاز هي "المرأة". فقد ثبت اجتماعيا، أنه بفساد المرأة تفكك العائلة.

المجتمع الذي يؤثر في الإقتصاد ويتأثر فيه، فكلاهما ـ الرأسمالية والاشتراكية ـ يهمهما انقياد الناس لهما تحت شعار حرية الفرد والمجتمع، وانفتاحه غير المنضبط بحدود القيم والاعراف والعقائد السائدة في الكثير من المجتمعات الشرقية والإسلامية، والإسلامية على وجه الخصوص، وإبعادها قدر الامكان عن معتقداتها التي لها خصوصياتها في التربية والاخلاق، والتي تعطيها الدور الأساس في بناء ذاتها وفق أفق مرسومة وخطوط واضحة المعالم تؤثر في التنمية الاجتماعية التي تحافظ على نمو المجتمع السليم، من أوبئة الصناعة والمال، المجردة من الرحمة والتواصل الاجتماعي. فالرأسمالية تريد السيطرة على الفرد من خلال تدمير الأسرة بدوافع زيادة الثروة وفق نظرية الغاية تبرر الوسيلة، والإشتراكية تريد نفس الغرض لايمانها بحتمية التغيير الاجتماعي وفق ما تراه مناسب للمجتمع، وكلاهما يسلبان المبادرة من الفرد ويجعلان منه منفذ مطيع تحت شعار المصالح العامة.

والذي يثير الإستغراب، أن مجتمعاتنا الشرقية، والأسلامية منها على وجه الخصوص، إنساقت انسياق المسلمات الطبيعية لمحورها الثابت في الحياة، فأفرغت المفهوم الاسلامي للمرأة، من كل محتوياته الإنسانية والوشائج التي تبنى عليها حياة البشر.

لكن هناك أسألة تفرض نفسها: هل أن الجنسان منفصلان عن بعضهما؟ أم أنهما متصلان اجتماعيا ومتباينان بالحقوق ومتساويان بالواجبات؟ واذا كانا متباينين بالحقوق، من سرق حق الآخر وكيف؟، ومن تدخل في هذه السرقة ؟، أم متساويان بالواجبات ومتباينان بالحقوق؟ ولكي يتساويان بالحقوق والواجبات وكان هناك انفصال أو ابتعاد، جاز لنا أن نميز بين الأدوار، ومن ثم نصنف الحقوق والواجبات لكل مخلوق على حدة،أو كما تقول النظرية الماركسية (لكل حسب حاجته من كل حسب قدرته). أو يتساويان في الخلقة والتكوين على شكل مخلوقين يعيشان جنبا الى جنب مرة، أوفي عالمين مختلفين يجمعهما عالم أشمل، مرة أخرى.

ولكي ندرس مدى موضوعية المساواة في الحقوق والواجبات، ونسبتها حسب المقدرة والعطاء، وحسب الكفاءة والأداء، جردنا الطرفين من إنسانيتهما، وأحلنا مجتمعنا البشري إلى مجتمع يخضع لشريعة الغاب في معايير الضعف والقوة، وعزل العقل، من فهم المعقول المستند إلى معايير الكرامة والعفة والوقار، إلى قانون التهتك والإذلال والعار، والتلاعب بالمفاهيم، وسوقها سوقا، نزولا لأمزجة وآراء، رأت ـ وهي القاصرة عن قدرة الخالق لنا ـ أنها الأجدى للبشرية.

ولكن، وإن كانت بعض النيات صادقة فيما تنظر وتؤدلج، لتحكم وتستعبد لتستبد لالغاء الآخر، الذي تراه تلك الاديولوجيات منافي لمصالح البشر ـ وإن كان هذا الآخر الأصوب والأجدر في إدارة شؤون الناس ـ أو تحكم لتستهتر، أو تحكم لتنقذ الإنسانية من عالم الإستبداد إلى عالم الحرية المطلقة، لتتساوى المخلوقات بالواجبات والحقوق، فتسقط كل الفوارق العقلية الموضوعية بينها، لتحيلها الى مخلوقات تتلاعب بها الغرائز والشهوات المالية والجنسية، والايدلوجية في سبيل الغاء العقائد الأخرى.

قد توجد فوارق في مجتمعات المنظرين للمساوات، فرضتها عليهم ظروف عجاف تسلطت فيها الكنسية فأحالت حياتهم جحيم، أجبرتهم بأن يفكروا لانقاذ مجتمعاتهم، فبدؤوا يفلسفون الحياة وفق ما يرونه مفيدا، طبقا للمنظور الرأسمالي الذي ولد بعيد الثورة الصناعية، والمادي الذي جاء ردة فعل على ظلم الرأسمالية وإضطهادها للعمال، التي أذاقت المجتمع الويل. لكننا نجد أن الإسلام لا يفرق بين الجنسين، انما نظم العلاقة بينهما، لكي يأتي من ينادي بالمساواة ليمزج بمزاجية الرأسمالي المحتاج إلى العمل حتى مع الأطفال غير البالغين، أو الاشتراكي الذي لا يحسب حساب الأبوة والأمومة والطفولة ، وقيم الحنان والعطف، والعفة والشرف، فتعامل مع الانسان تعامله مع المادة. بل في المرحلة الاشتراكية التي تسبق الشيوعية، يعتبر النظام الاشتراكي، أن البغاء يعني، ان تستحصل المرأة أجرا عن الاتصال الجنسي غير الشرعي، ويعتبره جريمة، الا أنه يصبح حقا مشروعا لها إن هي مارسته مع من تشاء دون أجر، هكذا وصفوا التجارة بالجنس. وهكذا، فهم يفكرون بقتل الجوانب الأخرى التي تؤثر في بناء المجتمع السليم ، بل هي مرتكزات بناءه، وبدونها يستحيل المجتمع البشري إلى مجتمع مفرغ من إنسانيته. وهذه المرتكزات، الأبوة والأمومة ، الحنان والعواطف، والوشائج، وصلة الرحم، والأمنيات ...الخ. كل هذه منشأها في المنظور الإنساني الإسلامي، عبادة الله لنيل رضاه.